هوامش

مغارة تشال في تركيا تمتلك طبيعة عجائبيّة، إذْ إنّ نظام التهوية الطبيعي داخلها تشكّل عبر ملايين السنين، كما أنّ المياه المنبثقة من داخلها تستخدم لعلاج أمراض الأنف والجيوب

الطريق الجبلي الموصل للمغارة لا يزال وعراً وطويلاً (فيسبوك)

مغارة تشال

جنة مخفية في تركيا

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

يصف عارفو مغارة تشال بأنها من غرائب الدنيا، إن لم نقل من عجائبها. العجائبيّة هي بطول فرعيها اللذين يفصِل جدول مائي بينهما، فتأتي العجائبية من عمرها وطريقة تشكلها، ولتكتمل الدهشة بنظام التهوية الطبيعي الذي تشكل عبر الزمن. اليوم، ومع بداية موسم السياحة بتركيا، بعد تعطل لنحو عام ونصف العام جراء تفشي وباء كورونا، ترمي تركيا بهذه الورقة، لمزيد من الجذب والترويج. فأعلنت عن افتتاح أبواب المغارة في طرابزون التي تعرف في تركيا باسم «الجنة المخفية» أمام السياح والزوار، بعد سلسلة من الترميمات والإصلاحات، بدأت عام 2003 قبيل افتتاح المغارة أمام الزوار لأول مرة، وتمت تكملتها عام 2019 بجملة من التحسينات. لتكتمل خلال الإغلاقات، وإن لم تزل الخدمات لا تتوازى مع بهاء المغارة، كما تقول الأكاديمية التركية فايزة كان أوغلو. وتضيف كان أوغلو لـ«العربي الجديد» أن الطريق الجبلي الموصل للمغارة «لا يزال وعراً وطويلاً»، كما أن شروط وخدمات الإقامة قرب المغارة «شبه معدومة»، ما يجعل السائح يكتفي بزيارة سريعة وتناول وجبة سريعة من المطعم الوحيد بجانبها، من دون أن يفكر باكتشاف المجاهيل، تقول: «يقول الخبراء إنه يمكن الوصول لنحو 8 كلم داخل المغارة، لكن الدهشة تقتصر على 1 كلم كحد أقصى، وعادة يتم الاكتفاء بالسير لمسافة 150 مترا على فرع المغارة الأيسر و400 متر على الفرع الأيمن».

وتضيف كان أوغلو: «كانت ولاية طرابزون من ضمن خياراتي وزوجي لقضاء شهر العسل قبل عامين، لكن ما يقال عن الخدمات حول بحيرة أوزنجول أو في دير سوميلا، تفتقره للأسف منطقة دوزكوي ومغارة تشال التي تعتبر ثاني أطول مغارة مكتشفة بالعالم حتى اليوم». وحول ما يقال عن الفوائد الصحية لزيارة المغارة، تشير التركية كان أوغلو، إلى أنه ليس من تأكيد طبي، لكن الشائع جراء التهوية الطبيعية والرطوبة، أن مياه المغارة المتساقطة من التشققات أو التي تنبع من أرضها، هي علاج لأمراض الأنف والجيوب وحتى الصدر والربو.

مراد زورلو أوغلو، رئيس بلدية طرابزون الكبرى، قال خلال تصريحاته عن افتتاح المغارة بعد إلغاء حظر كورونا، إن مغارة تشال من أبرز الوجهات السياحية المفضّلة في منطقة البحر الأسود، و«قد تجاوزنا كافة التدابير اللازمة لوقاية الزوار من فيروس كورونا». مشيراً إلى أن المغارة إرث طبيعي هام ليس لتركيا فحسب، بل للعالم أجمع. وحول التحديثات والترميم الأخير، يضيف زورلو أوغلو أنه تم الانتهاء من الترميم وتحسين أوضاع المغارة، وقد تم استبدال مضمار المشي الخشبي القديم بآخر مصنوع من الفولاذ بما يتناسب مع نظام المغارة كي «لا يصدأ». كما تم تجهيز أنظمة الإضاءة والانذار وكاميرات المراقبة.

وتقول المراجع التركية إن مغارة تشال الواقعة في بلدة دوزكوي بولاية طرابزون المطلة على البحر الأسود شمالي تركيا، تشكلت بفعل التشققات في الصخور الكلسية، وفالق يمكن ملاحظته بالعين المجردة، وذلك على مراحل زمنية ممتدة على ثمانية ملايين عام. وأخذت شكلها الحالي من خلال تشكيل المياه المتجمعة على السطح شقوقاً في الصخور الكلسية بعد تسربها وتحليلها للكتل الصخرية، وتكوين قناة مائية جوفية مع مرور الوقت، لتأتي المرحلة الثانية إثر توقف نمو المغارة المرتبط بتدفق المياه نتيجة ارتفاع في القشرة الأرضية في المنطقة، ما أدى إلى تقليل قوة تدفقها.

ويصل طول الدهاليز التي اكتشفها الخبراء داخل مغارة تشال إلى ثمانية كيلومترات، إلا أن العديد من أقسامها لم تطأها قدم بشر حتى اليوم وتنتظر من يكتشفها، لكن الصعود إلى المغارة التي ترتفع 1050 متراً عن سطح البحر، يتطلب السير على درج خشبي بطول 200 متر، ويتفرع منها ذراعان، تضم الذراع اليسرى ما يشبه المدخنة التي تنهمر منها المياه، ويمكن رؤيتها بعد السير نحو 150 متراً، أما الذراع اليمنى ففيها طرق للسير لمسافة 400 متر وتتميز ببركة مائية ونبع يضفيان جمالاً خاصاً. ربما، لقدم تركيا وتعاقب الحضارات عليها، ومخاوف السكان بالماضي، من الطبيعة ومن عليها، تكثر الكهوف والمغارات التي تصل لنحو 40 ألفاً، إذ فقط باسم «أهل الكهف»، يوجد أربع مغارات في سلجوق وليجا وطرسوس وأفشين.

باختصار

أعلنت تركيا عن افتتاح أبواب المغارة التي تعرف في تركيا باسم «الجنة المخفية» أمام السياح والزوار، بعد سلسلة من الترميمات

■■■

عادة يتم الاكتفاء بالسير لمسافة 150 متراً على فرع المغارة الأيسر و400 متر على الفرع الأيمن

■■■

يصل طول الدهاليز التي اكتشفها الخبراء داخل مغارة تشال إلى ثمانية كيلومترات، إلا أن العديد من أقسامها لم تطأها قدم بشر

وأخيراً

حافظ الأسد بين الرعوش

خطيب بدلة

في الأمثال الشعبية السورية؛ يقال لمن يَحفر الأرض، أو الجدران، بحثاً عن كنز، عندما يخيب أملُه: طلع ثقبك على خراب. هذا ما حصل لمعارضي حافظ الأسد يوم العاشر من يونيو/ حزيران 2000، فالرجل مات، وهم فرحوا، وشعروا، لأول وهلة، أن كابوساً عمره ثلاثون سنة أزيح عن كواهلهم .. ولكن مثلاً شعبياً آخر يقول للمستعجل: أنت تخطف الكأس من رأس الماعون. يجيب المواطن المنتشي بموت ديكتاتوره: قل ما تشاء، فقد فرحت، وسأفرح .. وهنا يصطدم بمثل شعبي يقول: راحت الحزينة تفرح، ما لقت مطرح، ففي لحظة موت حافظ الأسد كان جيشُه العقائدي ومخابراته وشبّيحته ونبّيحته مستنفرين، يراقبون أفواه المواطنين، ورسائلهم، وهواتفهم. لذا راح كارهوه يموّهون فرحتهم؛ يتصل الواحد منهم بصديقه الذي يثق به، ويواعده خارج المنزل، وعندما يلتقيان يتعانقان، ويتباوسان، ويتبادلان مشاعر الفرح والشماتة، ويذهب مواطن آخر إلى صديقه من دون اتصال هاتفي، يقرع عليه الباب، وعندما يخرج يقول له: مبروك، الزلمة مات «وكانوا يستخدمون كلمات من قبيل: فطس، نفق، انقلع.. إلخ». ولكن، ما مضى إلا وقت قصير، حتى باخت مشاعر جميع السوريين المتفائلين بالخلاص، «وراحت السَكرة، كما يقول المثل، وجاءتْ الفَكرة». ووقعنا على رؤوسنا نكساً، إذ وجدنا كل شيء مخطّطاً له، ومرتباً بما يجعل الولد القاصر بشار الأسد يستولي على الحكم بسلاسة، لتُمْنى سورية، من ثم، بأسوأ رئيس، وتعيش أفظع فترة في تاريخها المعاصر الذي بدأ مع خروج العثمانيين من سورية في شهر أكتوبر/ تشرين الأول 1918، فخلال 21 سنة التي انقضت على بدء التوريث، تحوّل ربع مباني سورية إلى ركام، وهُجّر ثلث شعبها بعدما قتل منهم مليونا، وأُجّرت المنشآت الاقتصادية لروسيا وإيران لنصف قرن من حساب السنين، والحبل على الجرّار.

كان حافظ الأسد، على قولة المثل الشعبي، مثل القطط، بسبع أرواح. تعرّض لأول إهانة في بداية حكمه حينما زار مدينة إدلب، وكَالَهُ أحد المواطنين بفردة تاسومة (أسوأ أنواع الأحذية وأرخصها). وبعد ذلك بسنتين تقريباً أصدر دستوراً يخلو من فقرة تحدّد دين رئيس الجمهورية، فخرج ناسٌ في مظاهرات احتجاج، واضطر لإصدار توجيهٍ بإضافة الفقرة المذكورة. وفي أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، ومع ضربات جهاديي الطليعة المقاتلة المنشقين عن جماعة الإخوان المسلمين، لمس حافظ على رأسه وقال، في لقاء تلفزيوني، وهو يتمسكن، إنه فلاح، ويمكن أن يرجع، إذ لزم الأمر إلى أرضه..

ولم يقل ماذا سيفعل في الأرض، على عكس شقيقه رفعت الذي أراد، فيما بعد، أن يتباهى بذكائه الحاد وثقافته الموسوعية، فقال إنه حصل على شهادة الدكتوراه، وهو «يرعى الجدايا بين الرعوشِي، حوشي جْدَيَّاتك حوشي».. واهتزّ حكم حافظ أكثر عندما مرض وأوشك على الهلاك، في 1983، وقام الدكتور رفعت، «راعي الجدايا ما غيره»، مطالباً إياه بالكرسي، لئلا يأخذه غريب، فاستفاق حافظ، وتنفض، واتجه نحو العافية، وحشد قواته، ووالدتَه، وشقيقه جميلاً، ووزير دفاعه طلاساً، وقادة فرقه وألويته، وبدأ الحفر تحت رفعت حتى أجبره على الفرار، كما كان يقول الناطق العسكري التابع لحافظ كلما تعرّضت مواقعنا الصامدة لقصف عسكري إسرائيلي.

> الحاكم القابل للاستمرار عند حافظ الأسد هو القوي، الفاشستي، البعيد عن أية مبادئ، أو مشاعر أو أخلاق

تعرّضت سورية، منذ سنة 1949، أي بعد ثلاث سنوات من خروج القوات الفرنسية، إلى سلسلة من الانقلابات العسكرية التي اتسمت كلها بالفشل. الداهية حافظ الأسد تمعّن في الظروف التاريخية التي أدّت إلى إخفاقها، فوجد أن انقلابات حسني الزعيم وسامي الحناوي وأديب الشيشكلي أجهضت لسببين: المناخ الديمقراطي الذي ساد في تلك الفترة، وضعف مؤسسات القمع التي يقبض عليها صاحب الانقلاب. أما انقلاب حزب البعث 1963، ومن بعده الشباطيون 1966، فسقطا بسبب تمسّك بعض الانقلابيين بالمبادئ. الحاكم القابل للاستمرار عنده هو القوي، الفاشستي، البعيد عن أية مبادئ، أو مشاعر إنسانية، أو أخلاق.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**